



رسالة لندن

الوظيفة الجمالية
المعيار والقيمة كحقائق اجتماعية

جان موكاجوفسكي

بقلم: هارك اسونيو
ترجمة: عبد النبي اصطيف

بين جان موكاجوفسكي ان آراءه في اواخر العشرينات ومطالع
الثلاثينات كانت قريبة من آراء الشكليين الروس Russian Formalists
وانه بدأ يتعد عن المدخل الشكلي للفن في عام ١٩٣٤ . وهو يشترك
مع الشكليين في اهتمامهم بمفاهيم كالشكل والوظيفة ، ولكنه في النهاية
يضع بعضا من مفاهيم الشكليين في منظور يختلف عن منظورهم الذي
استخدموه .

بيدا موكاجوفسكي كتابه « الوظيفة الجمالية ، المعيار والقيمة
كحقائق اجتماعية »

Aesthetic Function , Norm and Value As Social Facts

بمناقشة الوظيفة الجمالية . ان هذه الوظيفة تختلف عن
جميع الوظائف التي يمكن لموضوع أو حدث أن يمتلكها أو يعرضها .
وإذا ما سادت الوظيفة الجمالية الوظائف الأخرى فإنها تعزل الحدث أو
الموضوع عن وظائفها غير الجمالية المحيطة ، وترتكز انتباه المدرك عليهما
و - على الأقل من حيث الإمكانية - تمنح متعة للمتلقي . ولنلاحظ أننا
نتعامل مع وظيفة ، وأننا لذلك نتناول حالة اجتماعية بالفعل أو بالقوة ،
وتبعاً لذلك ، فإن موكاجوفسكي يؤكد أن الوظيفة الجمالية ليست
خصيصة دائمة أو حتمية لحدث أو لموضوع ، ولكنها تستثار فقط عندما
تدعى من قبل المجتمع لتخدم وظيفة ما أو أخرى .

* * *

ويبدو أن موكاجوفسكي يعيد تلخيص معظم تفكير الشكليين الروس
بوريس ايخنباوم Borisejxenbaum وبيوري تينيانوف Juri Tynjanov
بالنسبة إلى مفهوم الـ *dominata* : « المكون المتفوق أو مجموعة المكونات »
التي تضمن وحدة العمل الأدبي وإمكانية استقباله أي حقيقة الاعتراف
به كظاهرة أدبية . وبعبارة أخرى أن « الخصيصة السائدة » للأدب هي
الصفة المميزة له وللب « أدبيته » *Literarines* أيضا . ان مفهوم
موكاجوفسكي « للوظيفة الجمالية » يشترك بالكثير مع مفهوم « السائد »
عند الشكليين الروس . وعندما تسود الوظيفة الجمالية فإن النتيجة
هي عمل فني . وقد مضى موكاجوفسكي لينظر في التضمنات المتعلقة
بالعالم خارج الفن . وهكذا تحرك في اتجاه معاكس للاتجاه الذي سلكه

الشكليون الاوائل . وهناك دليل مواضع على ان (مفهوم) تينيانوف « للتطور الادبي » كان يمضي في الاتجاه نفسه الى حد كبير . وكذلك فان ادخال الظروف الاجتماعية في مقالة ايخنباوم هي مؤشر آخر على ان المرحلة النهائية للشكلية الروسية قد بدأت بالاهتمام بالامور غير الجمالية ايضا .

ان تحقيق حضور الوظيفة الجمالية هو ظاهرة اجتماعية ، ويستلزم جمهورا يصبح - نوعا ما - واعيا بالوظيفة الجمالية ويتخذ قرارا في انها موجودة - او غير موجودة - في موضوع او حدث ، ويقرر بعدها - ان كانت موجودة - فيما اذا كانت في دور رئيسي او تابع . ان موضوعا او حدثا تساهم فيهما الوظيفة الجمالية - او تسود - سيكون لهما مواصفات خاصة . اما الوظائف الاخرى كالتوصيل ، والاثارة الخ . . فانها تصبح لاحقة في سلم الوظائف . واكثر من هذا ، ان هذه الوظائف الاخرى - لانها غير سائدة ، لا تملك الدرجة نفسها من الاحاح والاهمية التي يمكن ان تكون لها في ظروف اخرى .

* * *

وعلى خلاف الوظيفة الجمالية التي هي مفهوم دينامي يرتبط بالسيادة والتبعية ، فان المعيار الجمالي كما يقول موكاجوفسكي « يجهد دائما من اجل الاستقرار والشرعية الكلية . ومرة اخرى ، اننا بالطبع لا نتحدث عن قوة مستقلة ، بل عن وجهة نظر اجتماعية بالاحرى ، لان

الوعي بمعيار يتضمن ان المجتمع يعرف ماذا يشكل اي معيار معين ، وفيما اذا كان معيار كهذا قد تحقق في عمل فني » .

واذ ينظر موكاجوفسكي الى الفن كرسالة تشير الى نفسها وتنقل شيئا عن تنظيمها الخاص بها ، فانه يلاحظ ان الجمهور المتلقي يأتي لتوقع خصائص بنيوية وتنظيمية معينة في الفن ، وانه لذلك يمارس تأثيرا معياريا على الفن . ولكن موكاجوفسكي يحاج انه اذا ما ارضيت توقعاتنا غالبا ، فان الفن يصبح آليا ومملا وعبارة جاهزة . واكثر من هذا ، ان كل وقت يطبق فيه المعيار ، يكون في سياق اجتماعي (وفني) مختلف . وهكذا فان الفنانين من جهة لا يقنعون بانتاج سلسلة من العبارات الجاهزة ولكنهم بالاحرى يخرقون المعايير - مهما كان ذلك قليلا - بغرض اثاره الاهتمام والتطبيقات والتوقعات اللاحقة لمعيار معين يأتي في اوضاع اجتماعية متغيرة من جهة اخرى . وبالتالي فان قدر المعيار هو ان يتغير (يخرق) باستمرار .

ان اهمية المعيار الجمالي لا تتضاءل بالتاكيد ، لانها - ببساطة - في تدفق مستمر . والفنان والجمهور كلاهما يكون غير قادر تماما على ممارسة اي حكم قيمة على الفن ان لم يكن على وعي بالمعايير الجمالية . وموكاجوفسكي يبين انه حتى الفن « الضئيل القيمة » يخرق حتما بعض وجوه المعيار حين يخلص لبعضها الآخر .

ان معالجة موكاجوفسكي للمعيار الفني - كما هو الشأن بالنسبة الى الوظيفة الجمالية - يذكر بالمواقف الشكلية . لقد اخترع فيكتور شكوفسكي Victor Sklovskij مصطلح Ostranenie « جعل الشيء غريبا » والذي وصف في الحقيقة خرق معيار جمالي متوقع .

وثانية ، لقد كان للاستجابة الى مفهوم تضمنات مختلفة بالنسبة

للسكليين الروس الاوائل عنها بالنسبة الى موكاجوفسكي ، واذ اقام السكليون المعيار وتعديله المستمر ، فانهم كانوا مهتمين بشكل رئيسي بتأثير تعديل كهذا على الادب (الاساليب الاجناس .. الخ) . وبالطبع فان موكاجوفسكي لم يتجاهل هذا التأثير ، ولكن اهتمامه الرئيسي اتجه وجهة اخرى . لقد اراد ان يوضح انه مهما كانت الحقائق الادبية الملموسة والنتيجة عن تغير المعايير ، فان عملية التغير نفسها هي في الاساس آلية اجتماعية وليست ادبية ، لانها تتطلب هيئة اجتماعية تنتج معيارا جديدا (الفنانون) او تعترف بمعيار جديد وتقبله في النهاية (المتلقون) .

وكما نجد الوظيفة الجمالية نفسها تنظم بشكل محتوم في معايير ، فان هذه المعايير تعتمد على احكام القيمة من اجل مشروعيتها ، وكما يمكن تحقيق سيادة الوظيفة الجمالية بطرق عديدة اعتمادا على المعايير السائدة ، فان تطور المعيار الجمالي وتعديله يعتمد على التغيرات في مجمل القيم الجمالية الواضحة في المجتمع الذي يدرك المعيار الجمالي ويستجيب له .

ولما كانت الوظيفة الجمالية هي الوظيفة السائدة في عمل فني ، فان القيم الجمالية تبعا لموكاجوفسكي هي القيم السائدة ايضا . والقيم الاخرى تظل ماثلة ولكنها للتأكد - تبقى في وضع تابع .

لقد استطاع موكاجوفسكي ان يضع التطور الادبي والتأثير الاجتماعي في منظور منطقي . فقد اقر بأن المجتمع يستطيع ان يؤثر - وهو يؤثر بالفعل - على الفن . ولكنه اضاف ان الفن يستجيب بنجاح اكبر من استخدام مكونات مادته الخاصة به . ان الناحية القيمة في بحوث موكاجوفسكي حول الصلة القائمة بين الفن والمجتمع هي وجهة النظر الثنائية التي تسمح للمرء بأن يتبناها فيما يتعلق بقوة الفن وتأثيره على اولئك الذين يدركونه معا . لقد لاحظنا تحول القيم غير الجمالية عندما تأتي تحت سيادة الوظيفة الجمالية . والنتيجة هي قيم جمالية سائدة

تدرك بتزامن مع القيم غير الجمالية التابعة . وأبعد من هذا حتى ،
 اننا (كمتلقين) لا نواجه مواد (في الفن) مأخوذة من العالم غير الجمالي
 فقط ، ولكننا نواجهها في ظروف هي نفسها غير جمالية . ان كلية مواجهتنا
 مع عمل فني او مع الفن بشكل عام ، تؤثر ايضا على استقبالاتنا . والحقيقة
 ان الصلات المتبادلة بين الفن والمجتمع هي اكثر تعقيدا ، لان كلا المواجهتين
 اللتين ذكرنا سابقا بين الاعتبار الجمالية تعرض بوقت واحد :

أ - متلقيا يتعامل مع مادة جمالية بينما هو في وضع غير جمالي .

ب - المادة المتلقاة تقدم له - للمتلقي - روابطها المادية غير الجمالية مع
 عالم التجربة ، وملامحها المشروعة والمثيقة الصلة جماليا .

ان هذه الاعتبارات تشير الى اتساق المدخل التخطيطي لمدرسة
 براغ . ونحن نتفق في الرأي مع البروفيسور رينيه ويليك في أن
 موكاجوفسكي « قد حافظ على توازن رائع بين الملاحظة الدقيقة ، والتأمل
 الجريء . وقدم نظرية أدبية توضح بنية العمل الفني ، وصلاته بتاريخ
 الادب ، كآدب وكحقيقة اجتماعية مما » .

